لقائي الأول مع القذافي

بقلم: أنور السادات

خدعني معمر القذافي في أول لقاء معه في طرابلس. لقد أعجبت به كل الإعجاب. ووجدته يمتلئ حماسا ووطنية ومثالية. وعدت إلى القاهرة لأقول لعبد الناصر أن الذين قاموا بالثورة الليبية هم الذين سيقودون بلدهم وشعبهم إلى بر الأمان.

وكم كنت مخدوعا في شخص معمر القذافي. فقد اكتشفت أنه مزدوج الشخصية، الشخصية الأولى تأسرك بمثاليتها، وحماسها، وإخلاصها، والشخصية الثانية تصدمك بشرها وحقدها وعنفها ودمويتها.

أنه صورة طبق الأصل من دكتور جيكل ومستر هايد التي نسمع عنها في الكتب والروايات!.

حديثي عن شاه إيران الراحل، أعاد إلى ذاكرتي لقائي الأول مع معمر القذافي، وباقي زملائه الذين قاموا بثورة الفاتح من سبتمبر. فبعد انتهاء جلسة مؤتمر القمة الإسلامي في الرباط، وما حدث بيني وبين الشاه في هذه الجلسة، توجهت إلى المطار لأستقل طائرتي في طريق العودة إلى القاهرة.

وتوقفت الطائرة في طرابلس، حيث قابلت معمر القذافي لأول مرة بل كنت أول من قابله من الخارج. فثورة ليبيا قامت في سبتمبر 1969. ومؤتمر الرباط عقد في نفس الشهر.

وصلت إلى طرابلس، ليلا وكان معمر القذافي في استقبالي فور هبوطي من الطائرة وقد سعدت حقيقة بهذا اللقاء الذي أعطاني فكرة كاملة عن الثورة الليبية، وعن الذين خططوا لها وقاموا بتنفيذها.

حدثني القذافي عن أسرار حركتهم السرية، وقال لي أنهم حاولوا أن يكرروا حركة الضباط الأحرار المصريين الذين قاموا بثورة 23 يوليو 1952، ليس هذا فقط، بل وقال لي

www.anwarsadat.org

أنهم تقمصوا شخصيات الضباط الأحرار، ووزعوا على أنفسهم أدوارهم، فمعمر تقمص شخصية جمال عبد الناصر، ومصطفى الخروبي تقمص شخصية عبد الحكيم عامر، وهكذا.

وعلمت من القذافي أنهم قرأوا كل كلمة كتبت عن ثورة 23 يوليو، وعن الذين قاموا بها وأعاد القذافي إلى ذاكرتي ما سبق أن كتبته عن ثورة يوليو، في جريدة "الجمهورية" ولاحظت أن القذافي كان يتذكر كل كلمة كتبتها، وأنا أروي قصة الثورة، وأسرارها.

حقيقة كنت في منتهى السعادة برجال الثورة الليبية، وكان مع القذافي زميله عبد السلام جلود، كان ساعتها يرتدي أفرول عادي. ولم أعرف يومها أن عبد السلام جلود هو الرجل الثاني في الثورة بعد القذافي، إلا فيما بعد وبعد أن تناولت طعام العشاء مع القذافي، استأذنت في ركوب الطائرة ومواصلة رحلتي إلى القاهرة، ففوجئت بهم يصرون على أن أتوقف مرة ثانية في مطار بني غازي، لمقابلة زميلهم وبعد أن تناولت طعام العشاء مع القذافي استأذنت في ركوب الطائرة ومواصلة رحلتي إلى القاهرة ففوجئت بهم يصرون على أن أتوقف مرة ثانية في مطار بني غازي، لمقابلة زميلهم مصطفى الخروبي، الذي كان يقوم بدور عبد الحكيم عامر في حركة الضباط الأحرار، كما طلب منى القذافي أن يركب معي عدد من الوزراء الليبيين في طريقهم إلى بني غازي.

وتصورت أن الأمر لن يزيد عن توقف الطائرة بعض الوقت في بني غازي، لينزل منها الوزراء الذين ركبوا معي من طرابلس، ثم تقلع الطائرة وهي في طريقها إلى القاهرة، فالوقت كان ليلا، فلن نصل إلى مطار بني غازي قبل الساعة الواحدة صباحاً...

وبالفعل هبطت الطائرة في مطار بني غازي، فنزل منها الوزراء، ثم فوجئت بشاب صغير السن يصعد إلى الطائرة، ويقترب مني ثم يندفع إلى أحضاني لمعانقتي، وقدم لي نفسه قائلا: أنا مصطفى الخروبي.. فضحكت وقلت له سعيدا به:

أهلا يا عبد الحكيم عامر...!

وقال لي بإصرار:

- لابد من نزولك معي.

- فاعترضت قائلا:

لا .. معلش يا مصطفى يا ابنى. الوقت متأخر جدا الآن... وأمامي ساعة طيران أخرى قبل أن نصل إلى القاهرة... واليوم كله كان متعبا ومرهقا...

- ورفض مصطفى الخروبي قبول اعتراضي. وأصر، وألح، وصمم على أن أنزل معه...! واضطرت للنزول معه....

- وقدمني مصطفى الخروبي إلى الضباط، وصف الضباط وهو يقول لهم:

- أقدم لكم أنور السادات، أحد أبطال ثورة 23 يوليو.

- وبسرعة، نسيت تعبي، وسعدت حقيقة بلقاء الخروبي ورجاله. ولم التفت إلى عقارب ساعة يدي، وهي تتحرك بسرعة معلنة قرب شروق شمس اليوم التالي!

- وعدت إلى القاهرة، وأنا في قمة السعادة، والانبهار بالقذافي، وجماعته. لقد أعادوني إلى ذكريات الشباب، بما فعلوه، وما يريدون القيام به.

- رجعت إلى القاهرة، وقابلت جمال عبد الناصر، وجلست أتحدث إليه عن ليبيا وثورتها قائلاً:

- لقد فرحت حقيقة بهؤلاء الشباب، وسعدت أكثر بوطنيتهم، وحماسهم، وتفانيهم في خدمة بلدهم، وشعبهم. أعتقد يا جمال أن دورنا قد انتهى الآن. وأنصحك أن ترسل وتأتي باثنين أو ثلاثة من هؤلاء الشبان لتشتغل بيهم، فهؤلاء هم المستقبل، أما نحن

- دورنا قد انتهى الآن. وأنصحك أن ترسل وتأتي باثنين أو ثلاثة من هؤلاء الشبان لتشتغل بيهم، فهؤلاء هم المستقبل، أما نحن فقد خلصنا خلاص! لقد دلنا معارك في السياسة، وغير السياسة، فكفاية بقى! وضحكنا

- وعلق جمال عبد الناصر قائلاً:

- إلى هذا الحد أنت معجب بهؤلاء الشباب يا أنور؟

- فقلت له مؤكداً:

- إلى هذا الحد يا جمال. وقريبا ستلتقي معهم، وعندئذ سأسمع رأيك فيهم.

- ومرت الأيام....

- وجاء معمر القذافي ليزور القاهرة، بدعوة من جمال عبد الناصر. وفي صالون بيت عبد الناصر، وجهت حديثي لجمال قائلاً:

- أرجو يا ريس أن تعيد لمعمرها ما سبق وقلته لك عنه وعن باقي إخوانه.

- ورد جمال قائلا موجها كلامه لمعمر:

- أنور منبهر بكم جدا. ونصحني أن أطلب اثنين أو ثلاثة منكم، ونطلع نحن على المعاش! هكذا كان رأيي في القذافي عندما رأيته في بداية معرفته...

- كنت سعيدا به كما قلت. وكنت أنتظر منه الكثير، هو وأخوانه، لخدمة بلاده وأمته العربية. كنت مبهورا بهم لدرجة أنني نصحت عبد العناصر بالاعتماد عليهم وعلى شبابهم، لمواصلة المسيرة الطويلة التي بدأناها في 23 يوليو 1952.

- وظل هذا رأيي في مصر القذافي، حتى اكتشفت- فجأة- أنه مزدوج الشخصية يوليو 1952.

- وظل هذا رأيي في معمر القذافي، حتى اكتشفت – أنه مزدوج الشخصية. الشخصية الأولى تأسرك تماما بمثاليتها، وحماسها، وإخلاصها، ووطنيتها والشخصية الثانية تصدمك بشرها، وحقدها، وعنفها، وقسوتها، ودمويتها، وبقدر ما في الشخصية الأولى من حلاوة، وطيبة، بقدر ما في الشخصية الثانية من إجرام، وكراهية.

أنه في صورة طبق الأصل من الشخصية المعروفة باسم دكتور جيكل ومستر هايد!

www.anwarsadat.org

وأن أنسى، شيئاً، فلا يمكن أن أنسى ما فعله القذافي معنا قبيل الحرب اتفق معنا على أشياء كثيرة، وعد بتنفيذها، ثم تجاهل وعودة، ورجع في كلمته، وتعامل معنا بشخصيته الثانية الخفية، بما فيها من عيوب قل أن تظهر على إنسان طبيعي ! وكان القذافي قد أرسل لنـــا 25 طائرة من طراز ميراج الفرنسية الصنع. وكنا ندرب أولادنا الطيارين عليها استعدادا للمعركة التي كنا نستعد لها، وكنا في حاجة إلى قطع غيار لتلك الطائرات التي تستهلكها بشكل غريب.

وكثيراً ما أرسلنا للقذافي ليطلب من فرنسا قطع الغيار التي تكفي الطـــائرات لفتـــرة طويلة. وكثيرا – أيضاً ما وعد القذافي بطلب قطع الغيار، وإرسالها لتكون في مخازننا.

ولم يطلب القذافي شيئاً، وبالتالي كانت تنتظرنا مفاجأة غير سعدية، بمعنى أن تنشـــب المعركة ولا نستطيع إشراك المقاتلات الميراج لعدم وجود قطع غيارها، ويصبح وجودها معنا كعدمها تماما! وكنت قد تعرفت على الشخصية الخفية للقذافي، منذ زمن غير بعيد...

ولهذا السبب لم أثق في أية كلمة يقولها، ولا أنتظر أن يحقق أي وعد يعد به. وكنـــت أعلم أن شركة إنتاج الميراج الفرنسية لا تبيع قطع الغيار فور طلبها وإنما لابد من الانتظـــار فترة لا تقل عن ستة شهور قبل تسليمها، وتحتاجها الشركة لتصنيع قطع الغيار المطلوبة.

وكنت وقتها في شهر أغسطس 1973، وهو شـــهر الإجـــازات فـــي دول أوروبـــا. فالمصانع تغلق والإنتاج يتوقف في هذا الشهر...

وواجهتني مشكلة كبرى...

فموعد المعركة تحدد، واقترب كثيرا والمقاتلات الميراج تحتاج إلى قطع غيار بـــأي ثمن، وإلا استحال إشراكها في المعركة.

وهناك اتخذت قراري....

قررت أن أرسل في طلب قطع الغيار، والتفاوض رأسا مع الشركة الفرنسية المنتجة. وقلت لمن اخترته للسفر إلى باريس:

- أذهب إلى باريس، وأفعل المستحيل من أجل الحصول على قطع الغيار المطلوبة. أبحث عنها لدى مصانع داسو التي تنتج الميراج. فإذا وجدت المصانع مغلقة، فأبحث عن قطع الغيار لدى الجيش الفرنسي. وإذا فشلت مع الجيش، فأبحث عن قطع الغيار لدى الشيطان نفسه. المهم لا تعد إلا ومعك قطع الغيار!..

وقلت له أيضاً...

- أننا على استعداد لدفع مليون دولار إضافية وزيادة على ثمن قطع الغيار، مقابل الحصول عليها في أسرع وقت ممكن.

- وسافر المندوب إلى باريس، وبذل كل جهده، ونجح في الحصول على قطع الغيار، وبنفس أسعاره، وفي الوقت الذي حددناه، لاستلامها.

وهكذا استطعنا أن نحل المشكلة، ولولا ذلك لما وصلتنا قطعة غيار واحدة عن طريق القذافي الذي وعد، وأقسم، على إرسال قطع الغيار في كل مرة كنا نطلبها منه!

وما فعله القذافي معي بالنسبة لقطع الغيار، فعله أيضاً بالنسبة للبترول الذي سبق ووعدني بتغطية احتياجاتي منه خلال المعركة. لقد فوجئت بالقذافي يرفض شحن البترول، ويأمر ناقلات البترول التي أرسلتها إليه، بالعودة إلى الإسكندرية وهي فارغة!

يومها جاءني وزير البترول مهرولاً، وخائفاً:

يوليو 1952.

يومها جاءني وزير البترول مهروراً وخائفاً:

نحن في مأزق. فالبترول لدينا لا يكفي لأكثر من 15 يوما!

وكان مأزقا بالفعل...

وكنا قد طلبنا من السعودية البترول.. ولم يرفض السعوديون طلبنا، ولكنهم طلبوا منا أن يطير إليهم وزير البترول ليحيطهم علما بمأزقنا ويبحث معهم طلبنا، والكمية المطلوبة،

www.anwarsadat.org

وتوقيت وصولها. وكان هذا كله يحتاج إلى وقت لا نملكه. ولهذا السبب أبرقت إلى شاه إيران أقول له:

- أننا نواجه مشكلة حادة فبترولنا لا يكفينا لأكثر من 15 يوما أرجو إنقاذنا! وكان الشاه على مستوى المسئولية... قدر الرجل أبعاد المشكلة الرهيبة التي نواجهها...

- وعلى الفور أمر الشاة ناقلات البترول في عرض البحر، بتغيير وجهتها والاتجاه إلى الإسكندرية رأساً لتفريغ حمولتها من البترول هناك. وفي نفس اللحظة **وصلتني برقية من الشاه يقول فيها:**

- في الطريق إليك الآن 600 ألف طن من البترول كانت في طريقها إلى موانىء أوروبا، وأمرت بإرسالها إلى الإسكندرية كشحنة أولى وأرجو أن ترسل وزير البترول المصري إلى طهران ليحدد لنا ما يطلبه من البترول تباعا.

- هذا ما فعله معي العرب، وهذا ما فعله معي شاه إيران....!

- وأيامها كتب الصحفي اللبناني الراحل سليم اللوزي مقالا هاجم فيه العرب قائلا: " أن مصر تحارب من أجلكم، وأنتم لا تملكون سوى البترول في أرضكم، ورغم ذلك ترفضون تزويدها ببعض هذا البترول وتضطر مصر إلى طلبه من الإيرانيين؟!..

- المهم أن السعودية أرسلت لنا البترول، فيما بعد، ونحن نشكرها عليه..

- كما شكرت الشاه الذي وقف معنا، وزودنا باحتياجاتنا من البترول، ولولا ذلك لواجهتنا مشكلة لا يعلم غير الله كيف كنا سنواجهها، أو كيف سنتحملها.

- وجاء الشاه لزيارتنا، بناء على دعوتي إليه...

- وكان من الطبيعي أن يكون حديثنا حول المعركة التي تمت، والبرامج التي كنت أفكر فيها للمرحلة التالية.

www.anwarsadat.org

- وكان الشاه متحمساً كل الحماس لبرامج التعمير، والتنمية، التي تحدثت معه عنها. وفوجئت به يقول لي:

- باسم بلادي أريد أن أشارك في بناء وإنعاش مدينة بورسعيد. وأرجو أن تقبل منا 250 مليون دولار كمعونة يمكنكم تسديدها على أجل طويل، وتخصص لمشروعات تعمير بورسعيد كمنطقة حرة، لخدمة التجارة والصناعة العالمية.

- وكانت مفاجأة أخرى من الشاه أخجلتني حقيقة...

- فالرجل لم يكتف بإنقاذنا من ورطتنا، وأرسل لنا البترول، وإنما ها هو يتطوع من تلقاء نفسه ويعطينا 250 مليون دولار من أجل المساهمة في إنعاش مدينة بورسعيد التي تحملت- هي وباقي مدن القناة- أهوال جميع الحروب السابقة.

- وشكرت الشاه.... وازدادت صداقتنا قوة، وصلابة.... ولم تكن الصداقة على المستوى الشخصي فقط، وإنما أصبحت صداقة على المستوى الرسمي أيضاً، باعتبار أن مصر وإيران هما أقدم دولتين، وأعرق حضارتين، في المنطقة. فإيران قامت فيها إمبراطورية منذ 2500 سنة، والذي يرجع إلى كتب التاريخ سيجد أن ملوك أوروبا- وكانت أوروبا وقتها مقاطعات لم تصل بعد إلى مرتبة الدول- كانوا يحسبون حساب إمبراطور إيران، قبل الإقدام على أية خطوة يمكن أن يعتبرها مساسا بأمنه وبلاده. ومصر كانت لها دولة، وحكومة، منذ سبعة آلاف سنة. ولهذا السبب كان الاتفاق بين الشاه وبيني على ضرورة التنسيق فيما بيننا، بحيث تتولى مصر وإيران إيجاد التوازن في منطقتنا، كالآتي:

لن نسمح لأي قوة خارجية بالتدخل في المنطقة، أو تعيد رسم حدودها، لأننا أصحابها، ونحن أدرى الناس بمصالح شعوبها.

وكان الشاه يتحدث بمنطق القوة. فإيران وقتذاك كانت تمتلك قوة عسكرية هائلة. ومصر هي الأخرى كانت تملك مقومات تلك القوة، وتسعى على تحقيقها بما تنتظره من تسليح وسلاح.

www.anwarsadat.org

اتفقت مع الشاه على أن يكون القرار الأوحد لدول المنطقة، وليس للدول الكبرى والعظمى.... وأذكر أنني كنت أريد أن أحل معه مشكلة الجزر الثلاث المتنازع عليها مع العرب. فقلت للشاه:

لا يكفي أن تتحالف مصر وإيران وحدهما. فالوضع الطبيعي أن يتحالف الفرس مع العرب. فهما حليفان طبيعيان، جغرافيا، ودينيا، ومصيريا وعلينا أن نعمل من أجل تحقيق هذا التحالف، حتى يمكننا أن نحافظ على استقلالنا ونقف أمام أي تحد يهب علينا من الشرق أو من الغرب. أن منطقتنا تمتلك أكثر من 60% من احتياطي بترول العالم. وهي ثورة هائلة لابد أن نحافظ عليها. ولن يتحقق هذا إلا إذا اتحدنا، وتحالفنا معا.

ووافق الشاة على كلامي.... وعدت لأقول له:

– ولهذا السبب يجب أن نعمل معا على تصفية جميع خلافاتنا. ويمكننا أن نبدأ بحل مشكلة الجزر، ولابد من حلها. واقترح عليك أن تبدأ مع الرجل الطيب الشيخ زايد. أما لماذا اخترت الشيخ زايد بالذات فلأنه حاكم دولة الإمارات، والجزر المتنازع عليها تابعة لإمارة من تلك الإمارات المتحدة.

كما أن الشيخ زايد رجل معقول جدا، ولن يتركك ليزايد عليك، أو يستخدم شعارات تزيد من حدة الأزمة ولا تساعد على حلها. ووافق الشاه على الحل الذي اقترحته عليه...

www.anwarsadat.org